للمؤمنين يعني تسوي لهم وتهيئ مقاعد للقتال مواطن ومواقف
وقد اتسع في قعد وقام حتى اجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام
في معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق قبل ان تقوم من مقامك
من مجلسك وموضع حكمك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمايركم
اذ همت طايفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل
المومنون ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم
تشكرون اذ همت بدل من اذ غدوت او عمل فيه معنى سميع عليم والطايفتان
حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الف وقيل في تسعماية وخمسين والمشركون
في ثلثة آلاف ووعدهم الفتح ان صبروا فانخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس
وقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري
فقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم
فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله عليه السلام وعن
ابن عباس رضي الله عنه اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا
والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس وكما لا تخلو النفس عن الشدة
من بعض الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال
المكروه كما قال عمرو بن الاطنابة اقول لها اذا جشأت وجاشت مكانك تحمدي
او تستريحي حتى قال معاوية عليكم بحفظ الشعر فقد كدت اضع رجلي
في الركاب يوم صفين فما ثبتني الا قول عمرو بن الاطنابة ولو كانت عزيمة
لما ثبتت معها الولاية والله تعالى يقول والله وليهما ويجوز ان يراد والله ناصرهما
ومتولي امرهما فما لهما يفشلان ولا يتوكلان على الله فان قلت ما معنى ما روي
من قول بعضهم عند نزول الاية والله ما يسرنا انا لم نهم بالذي هممنا به
وقد اخبرنا الله بانه ولينا قلت معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم
من الشرف بثناء الله وانزاله فيهم اية ناطقة بصحة الولاية وان تلك الهمة
غير الماخوذ بها لانها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها والفشل
الجبن والخور وقرئ والله وليهم كقوله تعالى وان طايفتان من المومنين
اقتتلوا امرهم بان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه ثم ذكرهم
ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة
والاذلة جمع قلة والذلان جمع الكثرة وجاء بجمع القلة ليدل على انهم
على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال
والمركوب وذلك انهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد
وما كان معهم الا فرس واحد وقلتهم انهم كانوا ثلثماية وبضعة عشر وكان
عدوهم في حال كثرة زهاء الف مقاتل ومعهم ماية فرس والشكة والشوكة
وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به فاتقوا الله
في الثبات مع الرسول لعلكم تشكرون بتقواكم ما انعم به عليكم من نصرته او لعلكم

ينعم الله

آل عمران

ينعم الله عليكم نعمة اخرى تشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سبب
له اذ تقول للمومنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملايكة
منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم
ربكم بخمسة الاف من الملايكة مسومين وما جعله الله
الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز
الحكيم اذ تقول ظرف لنصركم على ان يقول لهم ذلك يوم بدر او بدل ثان
من اذ غدوت على ان يقول لهم يوم احد فان قلت كيف يصح ان يقوله
لهم يوم احد ولم تنزل فيه الملايكة قلت قاله لهم مع اشتراط الصبر
والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنايم ولم يتقوا حيث خالفوا امر رسول الله
عليه السلام فلذلك لم تنزل الملايكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت
وانما قدم لهم الوعد بنزول الملايكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات
ويثقوا بنصر الله ومعنى الن يكفيكم انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلثة
الاف من الملايكة وانما جيء بلن الذي هو لتاكيد النفي للاشعار بانهم
لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالايسين من النصر وبلى ايجاب
لما بعد لن يعني بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا
وتتقوا يمددكم باكثر من ذلك العدد مسومين للقتال ويأتوكم يعني المشركين
من فورهم هذا من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره الى غزوة اخرى
وجاء فلان ورجع من فوره ومنه قول ابي حنيفة رحمة الله عليه الامر على
الفور لا على التراخي وهو مصدر من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة
ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل
خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث والمعنى انهم ان يأتوكم من ساعتهم
هذه يمددكم ربكم بالملايكة في حال اتيانهم لا يتاخر نزولهم عن اتيانهم يريد
ان الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم وقرئ منزلين بالتشديد
ومنزلين بكسر الزاي بمعنى منزلين النصر ومسومين بفتح الواو وكسرها
بمعنى معلمين ومعلمين انفسهم او خيلهم قال الكلبي معلمين بعمايم
صفر مرخاة على اكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي
الدواب واذنابها وعن مجاهد مجزوزة اذناب خيلهم وعن قتادة كانوا
على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء
فنزلت الملايكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه
تسوموا فان الملايكة قد تسومت وما جعله الله الا ان يمدكم اي وما
جعل الله امدادكم بالملايكة الا بشارة لكم بانكم تنصرون ولتطمئن به قلوبكم
كما كانت السكينة لبني اسرايل بشارة بالنصر وطمانينة لقلوبهم وما النصر
الا من عند الله لا من عند المقاتلة اذا تكاثروا ولا من عند الملايكة والسكينة
ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة ويربط على قلوب
المجاهدين العزيز الذي لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصر ويمنعه كما

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)